مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٤: ٦-١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمَرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرَقَ في قلوبِنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خَزَفيَّةٍ ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ منحصرين. ومتحيِّرينَ ولكن غيرَ آئسين* ومُضطَهدين ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غيرَ هالِكين* حامِلينَ في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتةَ الربِّ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادِنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذ فينا روحُ الإيمانِ بعينِه على حسَبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ ولذلكَ تكلَّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِنُ ولذلك نتكلَّم* عالمينَ

القديس أنطونيوس الكبير

يقول القديس أثناسيوس كاتب سيرة القديس أنطونيوس، ان أنطونيوس الذي تُعيِّد له الكنيسة في السابع عشر من كانون الثاني لم يُعرف في العالم أجمع بسبب مؤلفاته وكتاباته بل بسبب اتقائه لله. لمع نجمه في الكنيسة وسمي «أبو الرهبان» فكان نموذجاً لكل من أراد التنسك والزهد ومحاربة الشرير وأهوائه.

وُلد أنطونيوس حوالي العام ٢٥٠ في قرية كوما في صعيد مصر لوالدين مسيحيين تقيين وثريين، وكانت له أخت صغرى. التزم بالكنيسة منذ صغره ولم يكن يخرج من منزله إلاّ إلى الكنيسة، حتى انه لم يقصد المدرسة لكي لا يختلط بالناس. إلاّ انه كان يحفظ أي أمر يُقرأ على مسامعه وخاصة الكتاب المقدس الذي كان يصغي إلى تلاوته ويحفظه في ذاكرته.

توفي والده وهو في الثامنة عشرة من عمره. وحدث انه دخل الكنيسة وسمع القول الكتابي: «إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبِع كل ما تملكه ووزع ثمنه على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني» (متى ١٩: ٢١). فعل كما سمِع ووزع أمواله على الفقراء وأودع أخته عند عذارى أمينات للإهتمام بها، وتفرّغ هو للنسك.

قصد أنطونيوس الصحراء قرب قريته حيث يتواجد النساك، فصار يتنقل بينهم كالنحلة الحكيمة يتعلَّم من كل واحد فضيلة أو أكثر. فتعلَّم الصلاة والسهر والنوم على الأرض والصبر والوداعة والمحبَّة والإحسان والتحرّر من الغضب والفرح وغيرها. وعندما تضجَّرت نفسه في أحد الأيام أرسل الله له ملاكاً علَّمه تقسيم وقته بين الصلاة وعمل السلال، فاستراح بقوَّة الرب يسوع. كان يصلّي باستمرار ويعمل بيديه ويبيع هذا العمل لتأمين حاجات نفسه ولكي يكون خبزه بعرق جبينه، كما كان يوزع من مدخوله على الفقراء ولا يبقي معه شيئاً.

هاجمه الشيطان بالأفكار العالمية والحنين إلى حياة الغنى والمجد الباطل وبأخته التي أهملها ليُشعره بالذنب، كما لفته إلى ضعف جسده وأتعابه. قاوم أنطونيوس هذه التجارب بمزيد من الأسهار والصلوات والاتكال الثابت على الله والصوم

العدد ٢٠٠٨/٣

الأحد ٢٠ كانون الثاني

تذكار أبينا البار

المتوشح بالله أفثيميوس

اللحن الأول

أنَّ الذي أقام الربَّ يسوعَ سيُقيمُنا نحن أيضاً بيسوعَ فننتصِبَ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثر النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزداد لمجدِ الله.

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢-١٩)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبلهُ عشْرَةُ رجالٍ بُرصٍ ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم أمْضوا وأروا الكهنةَ أنفسَكم. وفيما هم منطلِقون طَهُروا* وإنَّ واحداً منهم لمَّا رأى أنَّه قد بَرِئَ رَجَع يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجهه عند قَدَمَيْهِ شاكراً له وكان سامريًّا* فأجاب يسوعُ وقالَ أليسَ العَشْرَةُ قد طهُروا فأين التِسعَة* ألم يوجَدْ مَن يرجِعُ ليُمجِّدَ الله إلاَّ هذا الأجنبيَّ* وقال له قُمْ وامضِ. إيمانُكَ قد خلَّصَكَ.

تأمل

«مُضطهَدين ولكن غيرَ مخذولين، ومطروحين ولكن غير هالكين، حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لتظهر حياة يسوع

حتى انه لم يكن يأكل سوى مرَّة واحدة في اليوم بعد الغروب وأحياناً مرَّة كل يومين أو أربعة أيام. وكان طعامه الخبز والملح، ولا ينام إلاَّ قليلاً على الأرض. يقول عنه القديس أثناسيوس انه كان «يبدأ حياته النسكيَّة من جديد كل يوم وكأنه أول يوم له في النسك. همّه كان أن يظهر أمام الله طاهراً، مستعداً للسلوك في مشيئته بكل قواه».

يُحكى انه أراد محاربة الشيطان في عقر داره فقصد القبور حيث الموت لينام في احدها. صارعه الشيطان وجرحه وتركه بين حيٍّ وميت. لم يهرب أنطونيوس بل بقي صامداً رغم ان جسده قد أنهك، فكان الرب معه إلى أن اختفت الشياطين والحيوانات التي سلَّطتها الشياطين عليه ونجا منها.

بعد ذلك توغل أنطونيوس أكثر في الصحراء وكان عمره خمسة وثلاثين عاماً. وجد حصناً مهجوراً مليئاً بالزحافات سكن فيه فهربت الزحافات. أقفل على نفسه عشرين سنة لم يكن يقبل خلالها إلاّ الخبز من فتحة في السقف مرتين في السنة. بعدها أتاه قوم أرادوا النسك معه فرأوه بنعمة الرب صحيح الجسم والعقل. وكان الرب يُجري على يده عجائب أشفية كثيرة، وتصالح متخاصمون كثيرون عند سماع كلامه، كما قرَّر الكثيرون بسببه اختيار حياة النسك والتوحد فأنشئت الأديار على الجبال وتحوَّلت الصحراء إلى مدينة. وكان يحث الرهبان على قراءة الكتاب المقدس والإستماع إلى الإرشاد الروحي والتمسُّك بحياة النسك والفضيلة وعدم التهاون حتى في أصغر الأمور، وعدم الخوف من هجمات الشرير لأن الشياطين تُهزم حالاً بالأصوام والصلوات والإيمان بالرب: «يكفي الإنسان أن يحمي نفسه بالإيمان وإشارة الصليب... السلاح الكبير ضد الشيطان هو حياة مستقيمة وإيمان بالله. فالشياطين تخاف صوم النساك وسهرهم وصلواتهم ووداعتهم وسكينتهم وعدم محبَّتهم الفضة وكرههم للمجد الباطل واتضاعهم ومحبّتهم للفقراء وإحساناتهم وعدم غضبهم. وقبل كل شيء إيمانهم بالمسيح».

عندما عَلِم أنطونيوس بالإضطهادات التي تتعرَّض لها الكنيسة على زمن الإمبراطور مكسيميانوس قصد مدينة الإسكندرية لخدمة المعترفين بالإيمان الذين كانوا يتعرَّضون للتعذيبات في السجون ومرافقتهم حتى استشهادهم. خدمهم وتمنى أن يشاركهم الشهادة، إلاّ ان الله لم يسمح بذلك. بعدها عاد إلى صحراء مصر العليا ليمارس النسك من جديد ولم تكن تقترب منه حيوانات الصحراء المفترسة. وعندما هاجم الشيطان الكنيسة بواسطة الهراطقة ومنهم آريوس، سارع أنطونيوس إلى المدينة من جديد ليشجب الآريوسية ويقول: «هذه الهرطقة سابقة للمسيح الدجال ولا يختلف اتباعها عن الوثنيين في شيء». رغم انه لم يتعلم القراءة والكتابة إلاّ ان الله حباه بفكر ثاقبٍ فدحض الهراطقة والفلاسفةَ الذين كان يقول لهم: «صاحب العقل الصحيح لا يحتاج إلى العلم».

عندما بلغ أنطونيوس المئة وخمسة أعوام من عمره عرّفته العناية الإلهية بقرب دنو أجله. ودَّع الرهبان المنتشرين في الجبل والصحراء وأوصاهم بأن لا يتهاونوا في الأتعاب والأصوام والصلوات والسهر وكأنهم يموتون كل يوم. بعد فترة مَرِضَ فاستدعى ناسكَين كانا معه

أيضاً في أجسادنا».

أنود أن نوقد شعلة المحبة الإلهية للمسيح والفضيلة؟ من الطبيعي إذاً تحمُّل الاضطهادات ومجابهة كل الصعوبات بفرح لأن الجوائز العظمى وأجملها تنتظرنا في السماء. ان المحبة للرب الذي يحثّنا على الجهاد الروحي، المحبة للمسيح فيها هذا القدر من القوة ما يعطينا الإيمان الأكيد والرجاء بالجوائز غير الفانية السماوية التي لا نراها الآن. عندما نحب المسيح ونفكر وندرس حياته نتضع ونشعر بضعفنا البشري، وتنتابنا الآلام وننسحق من أجل خطايانا. سنكون ودعاء وعادلين ومحسنين وفعلة للمحبة والوحدة بين البشر. وفضلاً عن كل هذه الأمور سيكون الفرح واتضاع النفسية العميقة حتى ولو اضطررنا إلى أن نجتاز الحياة بالاضطهاد والمهانة بسبب تفانينا من أجل المسيح وتكريس نفوسنا له.

نملك العقل والمنطق لدراسة حياة المسيح. فالسيد هو المثال الأول الذي يجب أن يرنو إليه الإنسان. ما نفعله نحن وما نشير على الإنسان أن يفعله نتعلمه من المسيح لأنه هو في نسكه وأوصاهم أن يدفنوا جسده تحت تراب الصحراء ولا يعرف أحد بالمكان، وأن يوزعوا ثيابه، إضافة إلى نصائح روحية. ولما انتهى من وصيته ظهرت على وجهه علامات الفرح ورقد بسلام. فبشفاعته أَللّهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

المعمودية في عظات القديس غريغوريوس اللاهوتي

لُقِبَّ القديس غريغوريوس النزينزي (٣٣٠–٣٩٠) عن حق بـ «اللاهوتي» لأنه استطاع أن يعبّر ببلاغة عن إيمانه القويم وأن ينقل خبرة حياته المقدَّسة إلى باقي أعضاء الكنيسة بالإضافة إلى تصدّيه للهرطقات التي ظهرت في عصره. اللاهوتي هو الذي يستطيع أن يجمع ببراعة بين المعاينة الإلهية والتعبير عنها بدقة وهذا ما أجاده القديس غريغوريوس اللاهوتي فترك لنا ٤٥ خطبة ألقى معظمها بين عامَي ٣٧٩ و٣٨١ حين كان أسقفاً في القسطنطينية وأصبحت فيما بعد مادة دراسة في معاهد الخطابة والبلاغة، ومنطلقاً لأناشيد وترانيم كنسيَّة، ونظم أيضاً قديسنا قصائد شعرية عقائدية وتاريخية وأخلاقية، كما كتب ٢٤٥ رسالة اعتُمدت منها رسالتان في مجمعَي أفسس (٤٣١) وخلقيدونية (٤٥١).

خصَّص القديس غريغوريوس اللاهوتي عدَّة عظات للحديث عن المعمودية التي عالجها من جوانب مختلفة وحاول أن يصحح بعض الممارسات الخاطئة التي كانت رائجة في ذلك الوقت. سنحاول الإحاطة فيما يلي بأبرز أفكار القديس وتعاليمه حول المعمودية.

يعبر الإنسان من الظلمة إلى النور ومن العدم إلى الوجود عبر ثلاث ولادات: الأولى هي الولادة الجسدية والثانية هي ولادة المعمودية والثالثة هي ولادة القيامة، وقد بارك المسيح هذه الولادات بوجوده على الأرض. أما بالنسبة إلى الولادة الثانية أي المعمودية فالماء الذي نعتمد به ليس كالطوفان الذي أغرَقنا قديماً بل هو ماء مقدَّس يحقق التطهير من الخطايا ويعطينا حياةً جديدة في المسيح. وبما أن الإنسان من طبيعة مزدوجة أي من نفس وجسد، الأولى غير منظورة والثانية منظورة، فعملية التطهير هي مزدوجة أيضاً أي بالماء والروح، بالماء نتطهَّر ظاهرياً وبالروح نتطهر بحال غير منظورة.

المعمودية هي واحدة للجميع وهي إذاً تساوي الكل في القيمة والكرامة: العبيد والأسياد، الفقراء والأغنياء، الوضعاء والوجهاء، الأبرياء والمذنبين، وهي تعطي الجميع سلاحاً لمقاومة هجمات الشيطان عبر المعمودية بالماء والروح. فالروح يذيب الجبال والماء يطفئ النار.

إضافة إلى كل ما تقدَّم، عالج القديس غريغوريوس في عظاته عادة سيئة كانت سائدة في زمنه إذ إن الكثيرين كانوا يعترفون أن الإيمان المسيحي هو الإيمان الحقيقي ولكن لم تكن لهم الجرأة لينكروا أعمالهم الشريرة ويتوبوا عنها، فكانوا يؤجلون المعمودية كل حياتهم ليعتمدوا قبل موتهم بقليل. اهتم القديس غريغوريوس بهذا الموضوع لأنه عانى منه شخصياً، فهو كان قد أجّل معموديّته إلى سن الثلاثين أي إلى العمر الذي اعتمد فيه المسيح. قبل أن يبلغ الثلاثين من العمر كان مسافراً من الإسكندرية إلى أثينا، وأثناء تواجد المركب الذي كان يقلّه

الأول والوسط والأخير الذي أرشد البشر ويرشدهم إلى الطريق الحقيقي والحياة الروحية السامية. المسيح هو المثال الأول والموحي، وهو في الوقت نفسه الجائزة والإكليل الذي سينناله المجاهدون. فأبصارنا يجب أن تتجه نحو المسيح ويجب أيضاً أن ندرس حياته على قدر ما يمكن لنعرف كيف نجاهد. ان المجاهدين لا يفكرون بالصراع والتعب بل بالجوائز. يقبلون بسرور أن يتحملوا كل الأتعاب وآلام الجهاد وأن يظهروا جَلَداً عظيماً عندما يفكرون بالجمال والبهاء الذي لإكليل الظفر. لكن مَن منّا لا يعرف ان من الواجب علينا ان نجاهد الجهاد الحسن الذي يدعونا إليه المسيح علاوة على الأكاليل غير الذاوية التي تنتظرنا؟ اشترانا المسيح بدمه الكريم ونحن كلنا ملك له. ليس غير المسيح يستحق محبتنا ويجب أن نخدمه وأن نكرس ذاتنا وجسدنا ونفسنا ومحبتنا وذاكرتنا وعقلنا وعملنا له لذلك يقول الرسول بولس: «أنتم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتُريتم بثمن كريم فمجدوا الله بأجسادكم وأرواحكم التي هي لله» (١كور ٦: ٢٠).

القديس نيقولا كاباسيلاس

في المياه القبرصية تعرَّض لمتاعب جمَّة فواجهته عواصف شديدة دامت كثر من عشرين يوماً ونفذت مياه الشرب وكاد الموت يداهم المسافرين. ارتعب غريغوريوس لأنه لم يكن قد اعتمد بعد وركع يصلّي بدموع وعاهد الرب بأن يكرِّس له حياته إن نجا من هذا الخطر الجسيم، فاستكانت العاصفة ووصلوا إلى أثينا حيث بقي غريغوريوس تقريباً حتى سن الثلاثين ثم عاد إلى نزينزة واقتبل المعمودية مكرِّساً نفسه للرب وقائلاً: «قد أعطيتُ كل ما هو لي للذي أعطاني إياه فأضحى هو لي كلَّ ما أملك. كرّست له خيراتي واعتباري وصحتي ولساني ومواهبي. والثمرة التي جنيتها من كل هذه الامتيازات هي الغبطة التي أشعر بها جراء اعتباري لها جميعها كلا شيء من أجل المسيح». انطلاقاً من هذه الخبرة الشخصيَّة حضَّ القديس غريغوريوس المؤمنين ليعتمدوا باكراً باختيارهم لأن الإنسان لا يعرف ساعة انتقاله من هذه الحياة. كذلك حذّر من التهاون بهذا الموضوع لئلا يضطر الإنسان للإعتماد والمركب في بحر الغرق، وقد يخسر النعمة لأنه طمِع في الأكثر فخسِر الكل. يجب أن لا تكون المعمودية مشابهة لعملية الغسل (غسل الجسم) قبل الدفن حيث الدموع التي تُذرف تكون دموع الذين يشيِّعون جنازة الإنسان، بل فلتكن دموع التوبة الشخصية هي التي ترافق المعمودية. لماذا يُقبِل الإنسان إلى المعمودية مجبَراً وليس مختاراً؟ فليُطبِّب الإنسان نفسه قبل أن يدركه الأمر الذي لا يُدفع عنه.

يضع القديس غريغوريوس المخلّصين في ثلاث مراتب: مرتبة العبيد، مرتبة المأجورين ومرتبة البنين. إن كان المؤمن من المرتبة الأولى عليه أن يخشى العصا والعقاب، وإن كان من المرتبة الثانية فليفكر في الأجر الذي سيناله فقط، أما إن كان من المرتبة الثالثة فيجب أن يوقر الأب ويحترمه. هكذا إن أصبحنا بنين لله نطيعه حتى وإن لم نأخذ شيئاً ولا نحتقر العطايا السماوية والبنوَّة.

أما عن معمودية الأطفال فيقول القديس غريغوريوس: «هل عندك طفل؟ فلا تعطِ فرصة للشر. عمِّده في سن الطفولة. قدِّمه إلى الروح القدس منذ نعومة أظافره. ولكن بعض الأمهات يؤجلن المعمودية لأن طبيعة الطفل ضعيفة! يا لكِ من أم صغيرة النفس وقليلة الإيمان! أنتِ تعلمين أن حنَّة النبية وعدت الرب بما في بطنها قبل أن يولد، ولما وُلد نذرته حالاً وأنشأته في حلَّة كهنوتية من غير أن تحسب حساباً لضعف الطبيعة الإنسانية. بل كانت مؤمنة بالله. لست بحاجة مطلقاً إلى التمتمات السحرية التي بها يدخل الشرير سالباً ما هو لله لنفسه في أوهام وإيحاءات فارغة وعدمية. اعطي ابنك نعمة الثالوث الأقدس بالمعمودية التي هي أفضل وقاية له».

هذه كانت بعض أفكار القديس غريغوريوس اللاهوتي حول المعمودية التي أصبحت في أيامنا هذه ولدى بعض الناس احتفالاً فولكلورياً، فلنعِ إذاً أهميَّة المعمودية، هذه الولادة الثانية، وتأثيرها على الإنسان، ولننشئ أطفالنا على المحافظة على نعمة المعمودية التي نالوها لكي نظهر جميعنا أنقياء وطاهرين بنعمة الله يوم الدينونة أمام العرش الإلهي بشفاعة القديس غريغوريوس اللاهوتي وجميع القديسين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb